صعب

# في سبيل تفهم الطفل

Cat. Feb 18.54

136.7
Sa11A
C.1

مقدمة الى
مكتبة يافث في
الجامعة الاميركية في
بيروت.
مع احترامي
المؤلفة
عائدة شاكر صعب
الشوفانات في حزيران ١٩٥٢

# في سبيل تفهم الطفل

•

بقلم

الآنسة عائدة شاكر صعب

•

مكتبة المشعل
YOUTH LIBRARY

بيروت — ص. ب. ٢٣٥

١٩٥٣

Cat. Feb. 18.54

الطفل الذى نود ان نفهم حياته

ونعنى بتربية شخصيته

# تقديم الكتاب

يطيب لمكتبة المشعل ببيروت ان تقدم للقراء في رقعة الوطن العربي الكبير كتابا يحمل طابعاً جديداً ، وينهج منهجاً طريفاً. فمباحثه تدور حول تفهم حياة الطفل ـ ذلك الطفل الذي هو نواة مجتمعنا وحامل بذرة جيلنا الجديد .

وجدير بنا وقد اخذت تنتاب ديارنا انتفاضة بعث ، واشراق وعي ، ان نستفيق الى حياة الطفل التي تشكل ركناً خطيراً في حياتنا الاجتماعية . وستجدون في هذا الكتاب ارشادات مفيدة وتوجيهات صائبة يستفيد منها كل من يهمه رعاية الطفل وحياة الأحداث الناشئين .

اعدت مواد هذا الكتاب الآنسة عائدة شاكر صعب التي تخصصت في سيكلوجيا الطفل في كلية البنات الاميركية ببيروت . وقد شجعتها استاذتها الدكتوره نجريان على جمع وتنظيم هذه الحقائق والاختبارات . ففكرة هذا الكتاب انبعثت من ذلك المعهد الزاهر ونشرت بعد ذلك مواده مختصرة تحت زاوية الطفل في مجلة صوت المرأة في بيروت . ثم عادت الآنسة عائدة فتوسعت في هذه الابحاث بحيث جعلتها تتناسب مع رسالة هذا الكتاب.

واملنا ان يسدّ هذا الكتاب فراغاً في خزانة الادب العربي ، ورجاؤنا ان يقبل على مطالعته كل من يعنيه امر الطفل في هذه البلاد والسلام .

ابراهيم مطر
المحرر بمكتبة المشعل

# توطئة

•

كنا بالامس البعيد نظن الاطفال كغيرهم من البالغين ، ولكن على شكل مصغر، اما اليوم بعد ان اكتشف العلم الحديث، ان للاطفال طرقهم الخاصة في تفكيرهم وشعورهم وتصرفاتهم، فقد انعكست الآية ، واصبح لزاماً علينا ان ندرس نفسيتهم ، لانه يتوجب على الطفل ان تتوفر له الامكانيات الكافية لتنمية شخصيته ، ولا يكون ذلك الا بالاطلاع على الاساليب الحديثة في التربية ، ولان الاطفال يمثلون امة المستقبل ويحملون بذرة الجيل الجديد ، فشخصيتهم كباراً ، تكون مرآة تنعكس فيها نفسيتهم صغاراً . وهذا اللون من العلم قابل للتغيير ، اذ انه يجاري في تطوره تطور الحياة . اما الاساليب الحديثة في فن تربية الاطفال ، فانها عميقة في فلسفتها ، عملية في نصائحها ، ومصيبة في علاجها .

ولما شعرت ان الحاجة ماسة الى مثل هذه المعلومات في اللغة العربية ، رأيت من واجبي ان اطلع القراء الكرام على أحدث النظريات في فن تربية الاطفال ، وقد ادرجتها في ستة ابواب جعلتها كما يأتي :

١) الترويض والسلطة في تربية الاولاد
٢) العادة وكيفية اقتباسها
٣) موقف الوالدين من صحة اولادهم
٤) أهمية الرفقة في حياة الطفل
٥) الحسد عند الاولاد
٦) تنمية شخصية الطفل وروحه

عائدة شاكر صعب

## الفصل الاول

# الترويض والسلطة في تربية الاولاد

لقد تغيرت نظرتنا في هذه الأيام مع تغير الزمان في امور كثيرة، ابرزها المشكلة التربوية التي هي بلا شك مشكلة حيوية . ولا عجب في هذا التغير طالما ان العلم ، قد اصبح مطمح انظار الكثرة من الناس . والعلم سلاح قوي يستطيع ان يقوم بثورة فكرية لقلب الاوضاع. ومن اهم نتائجه تغيير النظرية الرجعية في تربية الاولاد ـ الا وهي سلطة الوالدين عليهم . وما اصدق براهينه وبيناته التي تثبت ان فوائد ترويض الولد وتوجيهه توجيهاً صحيحاً تفوق فوائد فرض سلطة الوالدين عليه .

ان امتن الاسس لترويض الاولاد تربويا هي الاسس المبنية على الصداقة والمحبة بين الاهل والاولاد ، لأن باستطاعة هذه العلاقة الطيبة ان تحول دون وقوع مشاكل عديدة . ان الحب

للولد غذاء روحي يجب الا يمنع عنه فهو ضروري له مثل الغذاء الجسدي غير ان تشبيهنا للحب بالغذاء الروحي الضروري ، لا يعني إعطاء الولد مطلق الحرية ليتصرف كما يشاء دون قيد او جزر ، لان الحياة ليست ملكاً له ووقفاً عليه .

وثمة نقطة اساسية يجب الالتفات اليها ، وهي حفظ التوازن بين حب الوالدين للولد ، وبين تدليله المبالغ به ، كما يجب ايضاً حفظ التوازن بين عطفهم عليه والمحافظة على استقلاله الذاتي . هنالك مواقف عديدة يستطيع الوالدون فيها اثبات عطفهم وحبهم لاولادهم ، كما وانه هنالك مناسبات اخرى لتنمية استقلالهم الذاتي .

* * *

كثيراً ما يأتي الولد في المساء مجروحاً او على خلاف مع رفاقه ، او متخوفاً من بعض ما شاهد ، وهو في حالة ضعفه يرجع الى ملجأه الاخير ـ أعني والديه . عندئذ يجب ان يكونا عند حسن ظنه هذا . والولد يبرهن عن استعداد لأن يستقل عن اهله بقدر المستطاع فلا لزوم لتقييده بسلاسل العطف والحنو . ويحاول الطفل مراراً عديدة ان يأكل دون مساعدة امه فما هي الا ان تأخذ منه الملعقة لتلقيمه وكثيراً ما نتدخل ايضاً في اموره عندما نراه يرتدي ثيابه او يرتب العابه . . . فالطفل قادر ان يبرهن عن مقدرة ليس في وسعنا ان نتخيلها حقيقة ، اذا هو فقط وجّه التوجيه الصحيح وأعطي المجال لاظهار هذه المواهب الكامنة فيه .

ان اللباقة في تربية الاطفال لشيء اساسي جداً . مثلا اذا ارادت أم ان يصحبها ولدها الى نزهة ما ، وهو غير مقتنع بضرورة ذهابه معها ، فيجب الا تخالفه بل تتابع محادثتها معه بذكر بعض الامور التي سيقومون بها اثناء النزهة ، وتلفت انظاره الى جمال النزهة المرجوة . فتقيم بينهما جواً مرحاً ، وبالوقت نفسه تصل الى هدفها ، وتحقق ما تريد .

ان احسن مثال على استعمال اللباقة في التربية هي قصة سعاد وامها . واليكم ام سعاد ، فهي تعطيكم درساً في التربية مستمداً من اختبارها الشخصي . ان سعاد طفلة جميلة في السنة الرابعة من العمر . وبينما كنا مرة في نزهة مع بعض الاصدقاء ، ارادت سعاد ان تجتاز الطريق وحدها ، وهي لا تزال جاهلة خطر السيارات فما ان امسكت بيدها ، حتى علا صراخها وزادت حماسا لتمشي وحدها دون مساعدتي ، وهي تردد بصوت عال : لا انا لست بحاجة الى تدريبك ، طالما اصبحت فتاة كبيرة ... فتركتها وشأنها وانا اذكرها بخطورة السير في مكان تزدحم فيه السيارات ، وهي ما زالت تحاول التملص مني فعوضاً من ان امسكها بغير رضاها ، القيت يدي على كتفها وانتظرت الى ان قالت لي هلم نقطع . فبهذه الطريقة اجتازت الشارع بامان وشعرت في الوقت نفسه باستقلال ذاتي .

* * *

يحتم العلم الصحيح على الوالدين توحيد خطتهم في تربيتهم اولادهم . فاي تناقض بينهم يؤدي الى تشويش وقلق في حياة الولد . واليكم ثلاث طرق للتثبت من توجيه الوالدين الصحيح .

أولا ـ اذا كان التوجيه نافعاً في الوقت الحاضر

ثانياً ـ اذا كان ينفع في المستقبل

ثالثاً ـ اذا كان يقود الى عمل ناجح فى المستقبل

وهاكم مثلا على ذلك . كانت والدتان في عيادة طبيب مع ولديهما ، وقد ضاق صدرهما ذرعاً وهما في انتظار الطبيب ، فاخذا يعكران الجو بصياحهما وضجيجهما. ولشد ما اثار هذا التصرف الوالدتين، فجذبت الاولى يد ولدها قائلة بصوت جهوري : اهـدأ والا أوعزت الى الطبيب ان يضربك ابرة ، فاخذ الخوف من هذا الصبي مأخذه ، فلزم السكوت حالا . اما الام الثانية فقالت لولدها : الا ترى ان الجميع يقرأون بهدوء وهم ينتظرون الطبيب ، فما بالك تزعجهم ، اليس من الافضل ان تلعب لعبة هادئة ؟ !

فعلى ضوء النقاط المبينة اعلاه، يتضح ان الثانية احسنت التوجيه لأنها اسكتت الولد موقتاً ، كما وان الولد بقي يتذكر ذلك الدرس كلما جاء الى عيادة طبيب من الاطباء ، زد على ذلك ان هذا التوجيه علمه درساً في ان يعلم اقرانه مثل هذه اللعبة الهادئة . فالخطة التربوية التي تتبع التهديد وتلجأ الى العنف قد تردع الطفل لوقت معين ، لذلك يحذر استعمالها . وبدلا من ان يصلح العنف الطفل ، يجعله يتخيل من يضربه قاضياً ظالماً ينتقم منه لادنى حركة يقوم بها .

هناك بعض الحالات الاستثنائية التي يجوز فيها اللجوء الى العنف كأن يجر طفل اخاه الصغير من شعره دون ان يصغي الى ملاحظات والديه . فمثل هذا الطفل لا بأس من صفع يده ، برفق واستعمال بعض القسوة معه .

يقترح الاخصائيون في تربية الاطفال ان يخصص الوالدون وقتاً معيناً ليصرف مع اطفالهم ، فبهذه المناسبة تسنح الفرصة لهم لمعرفة ما يكنه اولادهم من شعور ، وما تنكشف حياتهم عن مواهب. وقد عبر طفل صغير في السابعة من عمره، عن ضرورة تخصيص هذه الفرصة للاولاد للتحدث مع والديهم ، بقوله: ان الوقت الوحيد الذي اشعر انّ والدتي تعيرني فيه اهتماماً هو عندما تكلفني بالقيام بعمل ما ، فادخل معها في نقاش ليس طمعاً مني في الوصول الى نتيجة ما ، بل لان الفرصة كانت سانحة لي لاعبر فيها عن شعوري . وعندما اخذت والدتي تصرف بعض الوقت في ملاعبتي ومحادثتي اصبحت في غنى عن نقاشها وقت عملها .

يتساءل البعض لماذا لا يوجد كتاب يبحث في جميع مشاكل الاطفال ويعطي الدواء الناجع لحلها . والجواب على ذلك هو ان المشاكل التربوية ، مهما تشابهت ظواهرها، لا تنتج عن الاسباب نفسها ، لذلك يجب ان تحل كل مشكلة على حدة وعلى ضوء اسبابها الخاصة . اما الكتب ، فتبحث عادة في مشكلة عامة كمشكلة الخوف في الاطفال مثلا، وتعطي بعض الاسباب العامة لها، كما وانها تبحث في طريقة معالجتها معالجة عامة. فعلى الوالدين ان يطالعوا الكتب ولكن عليهم ان يستعملوا حكمتهم في معالجة مشاكل اولادهم الخاصة لانه ليس هنالك من طريقة موحدة لحل المشكلة كما تقدم ذكره .

والامثلة الثلاثة التي ساوردها فيما يلي تؤكد النظرية التي مرّ ذكرها، وهي امثلة تدور حول تكليف الطفل لجلب العابه من الحديقة، وجميعها اساليب جيدة ، ولكن قد تنجح احدها مع ولد وتفشل مع غيره

اولا — يجب ان نطلب من الولد ان ينهي لعبه في الحديقة قبل حلول الوقت المعين .

ثانياً — يجب الا نترك (ونحن نسأل الطفل) الامر متعلقاً على ارادته في الاجابة على سؤالنا ، ام عدم الاجابة ، كأن نسأله اتريد ان تضع العابك جانباً وتأتي الى البيت ؟ !

ثالثا — يجب ان يكون الطلب واضحا ، وبكلام مختصر ، مثلا يقال للولد حان وقت مجيئك للبيت ، فهيّا نضع الالعاب جانبا .

* * *

لقد ثبت في المباحث التربوية الحديثة انه يترتب على الوالدين ان يذكروا الاسباب التي دفعتهم لأن يطلبوا من اولادهم القيام ببعض الاعمال او الواجبات . فعليهم ان يأخذوا بعين الاعتبار سن الولد ، وسعة ادراكه ، ورغبته في عمل ما يطلب منه فشتان بين والد يأمر طفله بالاّ يتعدى حدود حديقة البيت الى الطريق العمومية مثلا ، وبين والد يطلع طفله على خطر السيارات في الطريق العمومية . لا شك في ان الفئة الاولى تتسم بصفة الاسياد المستعبدين ، المستهدفين الى حصر السلطة في ذواتهم ، وهذا ما يتنافى مع صفات الوالدين المثاليين الذين يتوخون خلق علاقة ودية بينهم وبين اولادهم. اما الفئة الثانية فهي التي تنهج النهج الصحيح وتسير على الطرق التربوية الحديثة .

ينطبع الاولاد بطابع التطفل وحب الاستطلاع وهذه الصفة تساعدهم على الاطلاع على امور جديدة في الحياة ، ولكن ليس كل سؤال يطرحه الطفل يكون اشباعا لرغبته في المعرفة ، بل يحدث احيانا انه يتوخى من اسئلته

جذب نظر والديه ، او انه يسأل لمجرد الحديث والكلام ، او جريا مع قوة الاستمرار في الاسئلة . مثال ذلك ما جرى بين رياض وامه ساعة سألها :

ـ لماذا ترتدين ثيابك الجديدة ؟
ـ لأزور صديقة لي
ـ ولماذا تزورينها ؟
ـ لأنها مريضة
ـ ولماذا هي مريضة ؟
ـ لعدم تقيدها بارشادات الطبيب .

وما زال رياض يتابع سؤاله الرتيب، لماذا ؟ ولماذا ؟ حتى أسكتته بقولها وما رأيك انت فى الموضوع ؟ !

كل من له الخبرة فى الاطفال يعلم كيف ان طفله حاول جذب نظره مراراً فى سؤال ما لم يكن يخطر له ببال. واليكم مثلا آخر. بينما كان والدا ربيع فى نقاش حول موضوع ما ـ غير شاعرين ان ربيع موجود معهما ـ فاجأهما هذا بسؤاله لهما ، متى يجب ان انام ؟ ان سذاجة الطفل فى مثل هذا السؤال الواضح ، لمدعاة للضحك . غير ان جميع اسئلته ليست دائماً في مثل هـذا الوضوح . وعلى الوالدين بفضل اختبارهما معه ، ان يفهما القصد من اسئلته ويجيبا حسب مقتضى الحال .

ان مساعدة الولد لنجاحه فى اعماله امر ضروري ،لان بهذا يشعر الطفل بمقدرته،وتقوى شخصيته، فيصبح اذ ذاك ألين عريكة، واكثر تقبلا لنصائح والديه . ومن الخطأ ان ننتظر

شيئا من ولد ما لمجرد أن ولداً آخر يستطيع القيام به . فنظرية مقابلة ولد بآخر هي غير علمية لاهمالها عاملا اساسيا يعرف بعلم التربية بفردية الطفل (Individuality) والنظرة الخاطئة اعتبار جميع الاطفال بنفس القوى العقلية والجسدية . وعلينا لكي نساعد الولد لينجح فى عمل ما ، الا نكثر من طلباتنا له ، لانه لا يستطيع الاجابة عليها جميعها ، وان عدم قدرته على مجابهة هذه الامور تؤدي الى حمله على الشعور بالنقص والتقصير .

* * *

وانه لمن أهم أسس التربية ـ حسب النظرية الحديثة ـ تفهم الاسباب ومعرفة الدواعي التي أدت الى مثل هذا التصرف من الولد قبل معاقبته وعلى سبيل المثال فلا يجوز ان نعاقب ولداً لرسوبه فى المدرسه قبل معرفة السبب في ذلك ، لانه قد يكون هناك بعض العوامل الصحية او العائلية التي تعيقه عن ضبط تفكيره ، وعادة تكون هذه العوامل الخفيفة غامضة عن الولد. فكم من مرة كان الجو العائلي المضطرب السبب الأكبر فى تأخر الولد فى دروسه ! فشجار والديه فى حضوره قد يشوش افكاره ، ويضعه فى جو غير صالح للدرس .

ان معرفة الاسباب لجميع المشاكل ، هي الاساس المؤدي الى حلها حلا تربويا. فكثيرون من الوالدين يريدون ان ينام ولدهم فى وقت معين ، واذا لم يفعل ذلك يتهيجون وينزعجون ، ويفكرون بقصاص يليق بهذا المجرم المقترف المخالفات. اليست معالجة سبب هذه المشكلة خيراً من معالجتها هي مباشرة ؟ ! ما رأي الوالدين مثلا في انذار الولد بنصف ساعة قبل ان يحين

موعد منامه ، فعوضاً من ان نضع الولد امام الامر الواقع ونتشاجر واياه ، ونهيج أعصابه ، ونجعله يزداد كرهاً للنوم نقول له قبل الميعاد ـ قد قرب ميعاد النوم أيها الحبيب ! وهل ثمة ضرر اذا فات وقت المنام على الطفل في حالات استثنائية ؟ ! هذا ما يجيب عليه العلم بالنفي . . .

فالى التسامح أيها المربون ، هذه هي دعوة التربية الحديثة ، وقد قيل :

« كل ممنوع مرغوب »

## الفصل الثاني

# العادة وكيفية اقتباسها

يجب ان يتوفر عنصران هامان لاقتباس الولد احدى العادات وهما :

١ ـ ان تكون العضلات اللازمة لهذه العادة جاهزة للتعليم ، مثل العضلات الحنكية للنطق وعضلات الساقين للسير وغيرها

٢ ـ عشرة الطفل مع أهله واصحابه ، وتأثير الوسط عليه .

ان الولد مهما جرب ذووه تعليمه عادة جديدة ولم يكن جهازه العصبي مستعداً لقبول هذا التعليم ، فعبثاً يحاولون . واني مازلت اذكر قصة اختبرتها صديقة لي ، وهي لما كانت في الحادية عشر من عمرها ، جاهلة اصول فن تربية الاولاد ، اهتمت اهتماماً خاصاً في ان تعلم اسمها لأخيها

الصغير البالغ من السن ستة اشهر ، وما كان أشد خيبتها لما اخذت تردد اسمها على مسمعه عدة مرات ولم يتعلمه . ولكن ما ان بلغ السنة من عمره حتى أخذ يناديها باسمها ، دون اي جهد منها ، وهكذا فقد تحققت ان الولد لا يستطيع اقتباس عادة ما الا اذا تم جهازه العصبي الخاص باقتباس تلك العادة .

ما اكثر ما نسمع عن أمهات يتذمرن من تأخر ولدهن عن المشي ، فيبذلن كل جهدهن في إعانته على ذلك ، وحجتهن في هذا التذمر هو ان اغلب الاطفال في عمره ، يستطيعون ان يخطوا خطوات عديدة دون معاونة أحد من البالغين ، فيقلقن كل القلق ، لانهن يتصورن ان حالته غير طبيعية ، ولكن لو وضعن نصب أعينهن عضلات الساقين وعدم اكتمال نموها في ولدهن ، اتراهن يقلقن القلق نفسه بعد تلك المعرفة ؟ !

ليس من دواعي الشذوذ الا يجاري الطفل رفاقه في مشيه ، لأنه بالرغم من ان نمو العضلات هو العامل الأكبر في ذلك ، الا ان هنالك ايضاً عوامل اخرى لها تأثيرها فالبنية والصحة يجب ان تأخذ بعين الاعتبار . ولعل الوراثة تلعب دوراً هاماً أيضاً ففي عائلة واحدة نرى ان جميع الاولاد ينطبعون بالطابع نفسه في تأخرهم او تقدمهم في النطق او المشي فاذا كانت الام قد خطت خطوتها الاولى في المشي في الشهر التاسع ، فأن اولادها جميعاً يظهرون تقدماً سريعاً في مشيهم مما يؤكد تأثير عامل الوراثة . اما اذا كان التأخر مبالغاً فيه ، فيجدر بالوالدين استشارة الطبيب ليبين لهما اذا كان هذا التأخر طبيعياً ، او انه ناجم عن سبب صحي ، فيعطي ارشاداته .

ولنلق نظرة على العنصر الثاني في كيفية اقتباس العادة عند الولد. لا ريب ان الولد يتأثر باهله ومن أصحابه الذين يعاشرهم فهؤلاء لهم التأثير الأكبر عليه . ان ابسط طريقة لتعليم الولد عادة الصدق مثلا ، هي ان يكون من يعاشرهم صادقين. والوالدون هم الذين يتركون اكبر اثر من هذا القبيل فعليهم يتوقف تعليم الولد العادات الصحية والمستحبة ، وعليهم تتوقف مسؤولية نبذ العادات غير المستحسنة . وهذا بلا شك عمل شاق ، ولكن الطبيعة قد خصت الوالدين به فلا مفر لهم منه .

* * *

قرع باب سيدة في احد الايام ، فهرع ولدها مسرعاً ليفتح للقادم، وما ان تحققت الام ان القادم زائرة لا تود استقبالها ، حتى اوعزت لطفلها ان يقول لها انها متغيبة عن البيت . فما كان من الولد الا ان امتثل لأوامر امه . أليس في هذا تعليمه الكذب بعينه وكم يكون الاثر كبيراً عليه لأنه صادر عن الأم ـ الشخص المثالي التي هي قبلة انظار الولد . لعل هذه السيدة ، كالكثيرات من السيدات أمثالها ، تعتقد ان الولد ابله وبسيط لدرجة انه لا يستطيع ان يميز اخطائهن ، ولكن على النقيض ، فللطفل قوة تمييز غريبة ، يذهل منها البالغون حين يتحققون من وجودها فيه .

يتعرف الولد على العالم بواسطة والديه ويختبر الكثير من الحياة بواسطتهما. لذلك يتوجب على الوالدين ان يكونوا مثالا صالحاً لاولادهم ، وما العادة سوى عصارة الاختبارات . اذا لاحظ الولد ان والديه يتبعان سياسة الكذب مثلا في حياتهما ، يصبح الكذب عنده امراً طبيعياً ، وتنمو

هذه العادة القبيحة مع نموه العقلي والجسدي . ومن المؤسف ، ان نجتمع احياناً باناس نعجب بطلاوة حديثهم ، وما ان تمر بعض الايام ، حتى نتحقق ان كثيراً مما حدثوا به كان كذباً وتلفيقاً ، في حين كنا نراهم يتحدثون بانطلاق دون اي ارتباك او تردد ، ذلك لان عادة الكذب تملكتهم بشكل اصبحت طبيعية فيهم ـ وما العادة الا طبيعة ثانية .

واذا كان لا بد من اقتباس العادات ، فلماذا لا نعلم الولد عادات فاضلة منذ نعومة اظفاره ، فاذا ما شب وترعرع امتزجت بشخصيته وأصبحت جزءاً من كيانه وذاتيته . ولا يخفى ان للولد نفس الاستعداد في اقتباس العادات السيئة او المستحسنة . وعلى الوالدين ان يوجهوه لاقتباس الحسن واجتناب السيء . فلا عجب إذا بعد بسط هذه الحقائق ان نجد الخبراء يشددون في فن تربية الاطفال على الأم اذ يحسن الا نجعل المجتمع يلهيها عن تربية أطفالها . وعلى الأم ان تكون مستعدة لاجابة طفلها على جميع اسئلته ، وتوجهه التوجيه الحسن ، خصوصاً في سنواته الاولى ، لان الطفل على قصر اختباره في الحياة يتبع ما يلائمه لا ما يكون في صالحه .

* * *

هنالك حوالي المئة حركة آلية او اوتوماتيكة ، تصدر عن الفرد لمجرد التخفيف عن توتر الاعصاب وتنحصر هذه الحركات عند الاطفال عادة في اجزاء الجسم التي توفر القسم

الاكبر من الارتياح والرضى النفساني، كحركات الفم والشفاه، لذلك تنحصر عادة مص الاصابع وقضم الاظافر في سن الطفولة . وفي الاولاد الاكبر سناً تقتصر العادة على حركات في اليدين والرجلين . وكثيراً ما نلاحظ البالغين قد اعتادوا هز ارجلهم ، واللعب باصابعهم ، وغير ذلك من العادات التي تنم عن شعور مكبوت. ويمكن تشبيه هذه العادات بالماء الذي اذا اشتد غليانه احتاج الى التنفيس عنه وبالرغم من ان الكثير من هذه الحركات تصدر عفواً دون وعي، فبعضها يكون نتيجة لتقليد الآخرين، والبعض الآخر ناتج عن ضعف البنية الجسدية ، او بسبب اضطراب غدّي او غير ذلك . ولا يسهى عن بالنا الدور الذي تلعبه الحالة النفسية في خلق عادة ما ، كعدم الشعور بالحب الوالدي ، او الحسد من اخ او أخت او الى ما هنالك في امور . ولا يغربن عن البال ، ان الحالة العقلية ليست اقل تأثيرا على خلق العادات أيضاً ، فكثيراً ما كانت قلة النوم العامل الاساسي لخلق عادة القلق والتهيج والاضطراب .

وهاكم اسباب هذا الشعور الخفي المكبوت الذي يسبب بعض الحركات الشاذة التي تتطور غالباً الى عادات مستحكمة .

١) عدم وجود خطة موحدة في تأديب الولد، فتارة ينهج الوالدون نهج القساوة ، وتارة اخرى يسلكون طريق اللين .

٢) عدم وجود خطة موحدة بين الأب والأم في تهذيب ولدهما، فلكل طريقته الخاصة ، وكثيراً ما تجيء الواحدة مناقضة للآخرى .

٣) السلطة المبالغ بها التي يفرضها الوالدون على الولد .

٤) الحث الدائم على الاجتهاد ، وملاحقة هذا الامر دائماً فيما إذا كان ذلك فوق طاقة الولد .

٥ ) تدليل الولد الزائد الذي يميزه عن رفاقه .

٦ ) الحسد والغيرة .

٧ ) الضعف الصحي الناتج عن التعب ، او المرض او قلة الغذاء .

٨ ) التهيج الكثير الناتج عن الاصوات المرتفعة ، او الصادر عن قلة الراحة والنوم .

٩ ) طلبات الوالدين المتعددة الموجهة للطفل في حين انه لا يقوى على تلبيتها

١٠) الخوف ـ وقد يكون اما من الاهل ، او من حوادث مخيفة او غيرها

لقد تبين بالاختبار ان الطفل يكرر عمل ما يروق له ، فاستناداً على هذه النظرية يجب ان نذكره بالفوائد التي تأتي من اتباع عادة جديدة بدلا من العادة الاولى . مثلا إذا توخينا ان نمنعه من عادة قضم الاظافر ، فيجدر بنا ان نبين له الفرق بين جمال الاظافر المقلمة وبين قبح الاظافر المقضومة قضما . فجمال الاظافر المقلمة الناتجة عن استئصاله العادة تجيء بمثابة الاكتفاء والرضى المعنوي الذي مر ذكره وعندما يشتد ساعده قليلا ، فلا يتوقف تشجيع والديه لعادته او عدمه على كلماتهم فحسب ، لان نظرة اشمئزاز من قبلهم تكفي للتعبير عن عدم تشجيعهم له . وجدير بنا ان نكافح السبب الذي يخلق العادة في الطفل قبل مكافحة العادة نفسها ، لذلك يتحتم على الوالدين اكتشاف السبب ومكافحته في محاولتهم القضاء على اية عادة كانت . . .

الفصل الثالث

## موقف الوالدين من صحة اولادهم

لا شيء يريح بال الام اكثر من شعورها بأن طفلها في صحة جيدة. وذلك لاعتقادها بأن سعادته تتوقف على سلامة جسمه . والصعوبة التي تواجهها أغلب الامهات اول ممارستهن فن الامومة، قد تكون غالبا نتيجة لتمسكهن تمسكاً دقيقاً بقوانين تربية الاطفال . فاذا قال الطبيب : يجب على الطفل ان ينام باكراً ولم ينم هذا الطفل فعلامَ القلق وعدم الارتياح ! ؟ لان هذا يؤثر في نفسية الطفل ، فعوضاً من ان تبقيه امه رغم ارادته في فراشه ، وتظهر قلقها لعدم نومه، فلتجلب له العابا لا تستهلك كثيراً من قواه الجسدية ليلعب بها وحيداً في غرفته ، الى ان يتغلب عليه النعاس وينام .

أوليس هدف جميع الامهات الاسمى راحة الطفل وصحته ؟ ! فكيف لطفل ان ينام مرتاحاً إذا أرغمته والدته على النوم، وهي تهدده وتوعده خشية ان تؤدي قلة نومه الى إضعاف صحته . وما يقال عن النوم ينطبق على الأكل ايضاً . كثيرات هن الأمهات اللواتي يقرأن عن تغذية الطفل ويحرصن على

تطبيق هذه المعلومات بحذافيرها ناهيك عما يقرأنه في الكتب الأجنبية والمجلات الغربية من معلومات خاصة بالحياة الغربية فيحاولن تطبيق ما جاء فيها على أولادهن. فقد تقرأ سيدة في معرض برنامج الطفل اليومي، انه يجب ان يعرض الطفل للشمس دقيقة واحدة على ظهره وبطنه في اليوم الاول، ودقيقتين في اليوم الثاني، وهلم جرا، فتحاول السير بموجبه سيراً اعمى.

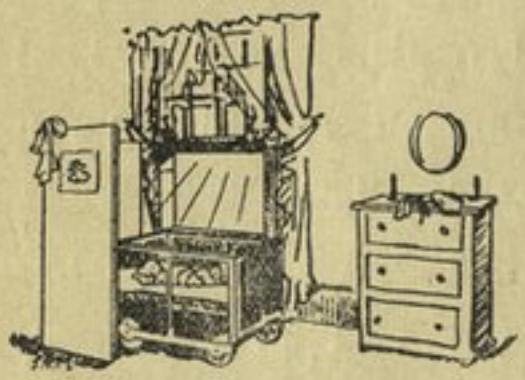

ان برنامجاً كهذا يبين أهمية أشعة الشمس والهواء النقي للطفل. فهل لأمهاتنا اللبنانيات مثلا ان يعنين بذلك عناية خاصة وبلادنا مضرب الامثال بهوائها العليـــل وشمسها الساطعة! ان أطباءنا المحليين والمختصين بالاطفال، لأصدق في نصائحهم في مثل هذه الحالات من الكتب الأجنبية لأنهم في نصحهم يأخذون بعين الاعتبار بيئة الطفل وحاجاته. وما دمنا نطرق باب تأثر الأمهات بما يقرأنه فيجدر بنا تذكيرهن ان الدعايات العديدة للحليب المعقم، يجب ألا تطغي على الحقيقة الراهنة بانها لا تحل محل حليب الام كلياً اذ ان جميع انواع الحليب المعقم ليس سوى محاولة لتقليد حليب الأم، وينصح باستعماله في حالة عدم استطاعة الام ارضاع طفلها لاسباب صحية.

كلما سمعت بعض السيدات صديقاتهن يتحدثن عن نوع جديد من الأكل، اهتممن بأن يتعلمنه وان يطعمنه لطفلهن. وإذا رفض الطفل ذلك النوع من الطعـام يئسن وقابلن شهيته بشهية ولد جيرانهن او صديقاتهن

متناسيات ان لكل ولد مزاجه الخاص . وعلى الأم ان تقبل هذه الفوارق كما وانه لا لزوم لانزعاجها اذا رفض ولدها نوعاً من انواع الطعام واسرف في اكل نوع آخر. على ان هذا الامر طبيعي عند الاولاد وطالما كانت هناك انواع للتغذية ضرورية لسلامة صحة الطفل كالحليب مثلا ، فانه يتوجب على الوالدين ان يحببوه بها تدريجاً . فكثيراً من الاحيان يغير الولد فكرته في الأغذية إذا صنعت بطريقة جديدة جذابة ، او إذا قدمت له وهو في جو مرح. قد يرفض الولد مثلا شرب الحليب، ولكنه يشربه بشهية اذا مزج مع قليل من الكاكو بحيث يصبح في نظره شكولاته. ان تكديرنا للطفل ، والتأثير على حالته النفسية بأجبارنا اياه على شرب او اكل نوع من الطعام هو عين الخطأ ، وكثيراً ما تقيأ الطفل ما اكله وشربه في مثل هذه الحالات .

من اهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الوالدين تجاه صحة أولادهم ، ايجاد علاقة ودية بينهم وبين اطبائهم ، لان فكرة الولد عن الطبيب سواء كانت فكرة طيبة ام سيئة ، تكون نتيجة لما يسمعه من والديه اكثر مما يسمعه من رفاقه . ومن المؤسف ان بعض الوالدين يضعون على الطبيب صفة التخويف فلا يرون وسيلة لتهديد ولدهم إلا به . وكثيراً ما نسمع امهات يعلن لولدهن ان لم تحسن تصرفك ، فسأوعز للطبيب ان يقلع ضرسك الى آخر ما هنالك من انواع التخويف والتهديد، وهذا كما لا يخفى يلقي الذعر في قلب الولد، ويحمله على تصور الطبيب اداة للشر ، لا يرجى منه سوى أذى الاطفال. ويقابل هذه الفئة من

الامهات الجاهلات فئة اخرى حكيمات يذهبن بتحبيب ولدهن للطبيب بشتى المذاهب فتراهن يدعونه بأسم «عم» بغية التقرب منه ، ويتحدثن عنه كمخفف للآلام، ويعرفن ولدهن عليه بواسطة تطبيبة لهن، فتقول الام مثلا أتذكر كيف داوى حلقي يوم صحبتك معي لعيادته ، فانه يعاملك المعاملة نفسها . وجدير بالام ان تفهم ولدها ان معاكسته للطبيب قد لا تكون لصالحه هو ، إذ يعرض نفسه لأن يرتكب الطبيب خطأ في معالجته نتيجة لعدم طاعته له .

كلما اراد الوالدون أخذ ولدهم للطبيب رأوا انفسهم امام قضيتين متناقضتين، فاما ان يحذروه من الآلام التي سوف يعانيها من جراء معالجته مما يجعله يتهرب من الطبيب. واما ان يخدعوه بقولهم له انه لن يعاني أية الام فبعد تطبيبه يتبين له عدم صدقهم. فالحل الصحيح هو ان يخبروه عما سوف يعانيه من آلام ، ولكن بطريقة لطيفة ، وان يؤكدوا له بانه سيحصل على راحة ، من جراء تحمله القليل من الآلام ، ويجدر بالوالدين ، في انتقائهم الطبيب لولدهم ان يجمعوا بين مهارته في فنه ، وبين تفهمه لنفسية الاطفال. فطريقة مداواة الطبيب للولد لها اهمية كبيرة على مرضه ، وتحسن حالته .

ليت الوالدين يذكرون ان معاملتهم للولد اثناء معالجة الطبيب له ، في حكمة وذكاء يرغبه في التصرف كالولد البالغ ، وتكون النتائج

اجدى مما لو بالغوا في تدليله . فيتوجب عليهم التراجع الى الوراء اثناء معالجته وفسح المجال للطبيب ان يعمل ما يشاء ، والاختصار من أحاديثهم معه ، وتحملهم منظر آلام ولدهم بصبر جميل فيؤدون الى ذاك خدمة عظيمة للولد وللطبيب .

والملاحظ ان الولد يرغب في زيارة عيادة طبيب الاسنان اكثر من اي عيادة اخرى ، وذلك لانه تتوفر فيها عدة آلات تجذب نظره كالكراسي القابلة للصعود والهبوط، والانوار المتعددة الاشكال والالوان، والآلات الغريبة والعجيبة ، ولتخفيف وطأة الخوف عند ولد يخشى معالجة اسنانه يستطيع الوالدون ان يشبهالثته عندما تستعمل فيها المخدرات، بيده او برجله عندما تكون في حالة الرقاد . ويفهمونه انه عندما يفقد شعوره يقتلع الطبيب له الضرس دون ان يشعر بادنى الم .

لقد شاءت العادة عندنا الا نستشير الطبيب في امور صحية، الا اذا بدت علينا أمارات المرض ، واستفحل الداء فينا ، واخذ منا مأخذه . فالحكمة تقضي بضرورة الفحص الطبي في اوقات متعاقبة حتى لو كنا نتمتع في صحة تامة ، هذا وانها تشدد على ضرورة فحص الولد شهريا في الستة الاشهر الاولى من عامه الاول ومرة كل شهرين في القسم الثاني منه . والمثل الشائع يقول درهم وقاية خير من قنطار علاج .

تتجه النية الى تدليل الولد في دور النقاهة ، فمنظره السليم بعد شفائه من مرضه يبعث الرحمة والشفقة في قلب والديه ، غير انهما لو فكرا عقلياً لا عاطفياً لوجدا أن معاملته معاملة طبيعية خير له من الغنج والتدليل الهدامين

لكل طموح فيه . فاذا شفي من مرضه وكان ذلك في السنة المدرسية ، فليتابع دروسه دون لأي مستعيداً حياته الطبيعية المعتادة . اما ما يجب تجنبه فهي الاعمال الشاقة التي لا يقوى عليها. فحبذاً لو تركت كل أم ولدها وشأنه في ترتيب العابه وثيابه وغيرها اثناء دور النقاهة .

ما اكثر ما نسمع عن الرشوة اثناء مرض الطفل ، كأن مرضه موسم لحصوله على الهدايا كلما عالجه الطبيب او شرب دواءً . هذا ما لا يستسيغه فن تربية الأطفال الحديث . إذ انه في نظر الأخصائيين يعوّد الطفل ان يقوم بالعمل لا من أجل العمل نفسه بل من اجل انتظار الرشوة . وفي هذه الخطة نواة الشعور بعدم المسؤولية التي تخلق فيما بعد شعوراً إجتماعياً غير مستحسن . اما الطريقة المثلى في معالجة هذه المشكلة فهي المكافأة بدلا من الرشوة .

ورُبّ سائل يقول ما الفرق بين المكافأة والرشوة . أفتمنح نظرية التربية شيئاً باليمين وتسترده بالشمال ؟ والجواب على ذلك هو ان المكافأة والرشوة مهما تشابها في مظهرهما يختلفان في معناهما اختلاف الشمس في منظرها وفي حقيقتها . فالرشوة تأتي قبل تطبيب الولد ترضية لخاطره كأن التطبيب فعل اعتداء على حقوقه الشخصية ، ان لم يحصل برضاه ، فذاك هو الظلم بعينه . بينما المكافأة تكون عادة بعد تعاونه مع الطبيب بتحمله الآمه بصدر رحب . هذا شريطة الاّ تكون نتيجة لوعد مباشر . فمثلاً تقول أم لولدها كنت جد فخورة لتصرفك الحسن اثناء معالجتك ، مما عجل في انتهائك باكراً فهيا بنا نذهب الى نزهة ، طالما ان هنالك متسعاً من الوقت . فلا يخفى على

الطفل ان النزهة هذه كانت مكافأة لتصرفه الحسن ، هذا مع العلم ان والدته لم تعده بها من قبل . فنرى مما تقدم ان هنالك فرقاً شاسعاً بين المكافأة والرشوة .

لقد ثبت للمربين ان الولد يتأثر من تهيج امه ، وان عدم ارتياحه العقلي يؤثر في جسمه . فالولد الذي يشعر ان والدته قلقة البال من جهته يرفض ان ينام او ان يأكل لسبب نفساني لا يفهمه هو ولكن يجب ان يكون في هذا معنى تفهمه كل أم واعية . فعلى الوالدين إذاً ألا يجعلوا القلق يستولي عليهم لأن مفعوله يظهر في نفسية الطفل كما انه يؤثر في نموه الجسدي. ومهما تعمقنا في الحقل العلمي تجدنا نتلاقى مع العامة عندما يكررون المثل المألوف

**العقل السليم في الجسم السليم**

الفصل الرابع

# اهمية الرفقة في حياة الطفل

يحتاج الطفل الى اصدقاء ليس لسعادته الشخصية فحسب، بل لتنمية قواه العقلية أيضاً. فهو في حاجة الى اصدقاء تتقارب اعمارهم من عمره لكي تتشابه نظرتهم مع نظرته الى الحياة. لهذا لا يمكن للوالدين ان يحلوا محل الاصدقاء ذلك لأن الولد عندما يلعب ويلهو مع رفاقه يتخاصم واياهم ويتشاجر، بينما هو في حضرة والديه، لا مفر له من التحفظ والتكتم خوفاً من العقاب.

ولا يحل الوالدون محل الأصدقاء لسبب اساسي ايضاً وهو انهم محدودو العدد ـ فالوالدان اثنان فقط، وهما لا يمثلان المجتمع الذي هو مزيج من أناس عديدين ومتنوعين، لكل منهم طبيعته وشخصيته الخاصة. فمعاشرة الولد لسبعة او ثمانية اولاد من عائلات مختلفة تمثل له، على نطاق ضيق معاشرته للعالم في المجتمع الاكبر.

فالولد الغني يتعلم من معاشرته لولد فقير الحال، ومن زيارته له في بيته، عن

خشونة العيش ويتحقق ان ليس كل من وُجد على هذه الدنيا يتنعم بعيشة مماثلة لعيشته، ويسكن بيتاً فخماً كبيته. والولد الفقير بدوره تتسنى له فرصة التعرف على محيط أوسع من محيطه وثقافة اسمى من ثقافته، وهذا التفاوت بين طبقة هذين الولدين، لا تفكك عرى صداقتهما، بل تهيئهما لمعرفة الحياة معرفة أوسع واصدق.

ومما يؤكد لنا ضرورة معاشرة الولد لأصدقائه، هو انه كثيراً ما يتخيل أصدقاء وهميين، خصوصاً في الحالات التي لا يوجد فيها أصدقاء حقيقيون له ولشد ما تتضائل هذه الخيالات عند دخوله المدرسة. وكثيراً ما يستغرب بعض الوالدين ترديد اسم ولد يجهلونه على شفاه طفلهم، ولكن سرعان ما يتحققون ان هذا هو من نتيجة التخيل وثمرة من ثماره.

لطالما سمعنا عن أمهات يتذمرن من ولدهن الخجول، ويلقين مسؤولية خجله على الطبيعة، فبذلك يجدن العذر لعدم توجيهه التوجيه الاجتماعي الصحيح. ان الولد يخجل ان يلهو مع ولد شاهده لاول مرة، غير ان خجله هذا يزول سريعاً، لاننا بعد برهة قصيرة من الزمن، نراه يلعب معه دون اي ضغط من قبل البالغين. ان الأم تربي الخجل في ولدها بواسطة موقفها منه على طريقة كلامها له، ومن جراء معاملتها إياه. وفي وسعها تخفيف خجله بتدريبها الواعي له، وتشجيعه على مواجهة احداث الحياة وصعابها. انه يتوجب عليها ان تعرفه باصحاب يلهو معهم وحذار ان تقتصر على رفيق واحد يفوقه قوة او ذكاء، لأنه سوف يتحكم فيه ويزيد المشكلة تعقيدا، بحيث يثبت للولد ضعفه.

واليكم هذا المثل . صحبت ذات يوم طفلة صغيرة خجولة والدتها لزيارة بعض الاصحاب ، فجلست قربها مطرقة الرأس تكاد تذوب خجلا . وما ان مضى وقت قصير ، حتى جاء ابن صديقة امها الصغير وأخذ يجتذبها بيدها رغبة منه في استمالتها للتسلية في العابه ، شأن أغلب الأطفال ، فأبت هذه الطفلة ان تذهب معه وأخذت تتمسك بامها اكثر فاكثر. فعاود الطفل الكرة وجذبها اليه قائلا سآخذك الى غرفتي لنلعب معاً ارضيت ام أبيت . وما هي الا لحظات حتى علا صراخها احتجاجاً على عمله . فما كان منه الا ان صفعها على خدها وهرول مسرعاً ، تاركاً اياها تبكي، خشية ان ينال نصيبه من القصاص أمام الزائرات . فصديق كهذا يفوق الطفلة قوة وايماناً بنفسه يضاعف خجلها بتحكمه فيها غير ان جميع ما ظهرت منه من حركات ، ليست مخلة بالآداب ، بل هي حركات صبيانية تصدر عن أمثاله من الاولاد المرحين

لا يحتاج الطفل عادة الى من يحثه على اللهو مع ولد نظيره لأن انسجام مستواهما العقلي وتناغم مداركهما يجعل احدهما يأنس الى الآخر دون الحاجة الى اي تحريض من قبل البالغين . فكم من ولد يلهو وحيدا في ملعبه وما يمر عليه وقت حتى يعج المكان باولاد الجيران ، كأنهم في هرجهم ومرحهم أصدقاء قدماء ، وكأن في اللعب واللهو جاذبا جذب اليه هؤلاء الصغار .

هل يخلو الاولاد من الاختلاف مع اصدقائهم اثناء لهوهم ؟؟ انه لمن النادر الاّ توجد مثل هذه الاختلافات . . . والامر الهام هو : ماذا يجب ان يكون موقف الوالدين تجاههم ؟ لا شك انه من المستحسن ان يظلوا ملازمين الحياد ويظهروا عدم تدخلهم فالاولاد عادة يتضامنون بعضهم مع بعض ، دون تدخل أحد ، وان خصامهم او الشتائم التي يوجهونها بعضهم لبعض لا تعني حقيقة ذلك الأمر الهام في نظرهم. ففي ساعة واحدة ينقلب الأصحاب اعداء والأعداء أصحابا ، وهكذا دواليك .

يتبع الاولاد عادة مبدأ الديموقراطية في معاملتهم مع الآخرين اذ انلا فرق عندهم بين ولد غني او فقير، ذكي او بسيط، ويجب على الوالدين الا يهتموا في هذه الفوارق ، لئلا يتشبث بها اولادهم. ومهما كانت الاسباب ، فلا يحق للوالدين ان ينشئوا ولداً على الكبرياء او البغضاء. اما الحالة الوحيدة التي يستطيع الوالدون فيها ان يمنعوا ولدهم من معاشرة ولد ما ، فهي اذا كان ذلك الرفيق، لا سمح الله ، ذا اخلاق رديئة وغير مستحبة. ففي هذه الحالة ، يتوجب عليهم ان يبعدوا ولدهم عنه .

ويترتب على الوالدين في هذه الحالة ان يكتشفوا الاسباب التي تجعل ولدهم يميل للهو مع ذلك الولد ، أكان ذلك لكونه جاراً له في السكن ، او انه يقصده للعشرة معه لسبب آخر ؟ !

يخطىء بعض الوالدين في منعهم ولدهم من معاشرة ولد آخر ، اذ قد يكون ولدهم على حق في معاشرته ، فهو يرى بعض النقاط في صديقه التي تخفى على والديه ، وليس في وسعهم رؤيتها .

ان الولد ، متى وُجد مع اترابه ، يود ان يظهر مثلهم ، فلا لزوم للام مثلا ان تهتم بأن تكون ثياب ابنها أحدث زياً من ثياب رفاقه ، او ان تكون قبعته أغلى ثمناً من قبعتهم . فهذه المظاهر الفارغة تزعج الولد ، لان كل ما يبتغيه هو ان يكون محبوبا منهم ومرتاحا برفقتهم .

في الغالب نجد الولد ينتقي أصدقاء له تتقارب أعمارهم من عمره ، وهذه نظرية صحيحة لانه اذا كان اصدقاء الولد أكبر منه سناً اضطره ذلك الى إجهاد قواه العقلية والجسدية ليصل الى ما هو عليه صديقه من معرفة واختبار . وطالما يعجز عن الوصول الى هدفه لصغر سنه وانه يجوز ان يشعر بعامل النقص ، وهـذا الشعور اذا استمر طويـلا يضعف شخصيته ويجعله ينشأ والشعور بمركب النقص ملازم إياه .

اليكم مثل سعاد . هي فتاة صغيرة تكبر أخاها ببضع سنوات . انّ هذا الفارق بالسن جعلها تحيطه بعنايتها إحاطة كلية ، حتى أثناء اللعب مما سبب له الشعور بعدم الثقة بنفسه ... وكما ان معاشرة أولاد اكبر سناً مضر بالطفل فمعاشرة أولاد أصغر سناً ليست أقل ضرراً له ، لأن ما يطلب من ولد في السابعة من عمره غير ما يطلب من ولد في الثالثـة مثلا . ولكن الولد بمعاشرته لرفيق يصغره سناً ينقص من معنوياته ، ويتدنى في مسالكه ، إذ هو لا يتوقع أن يستفيد شيئاً ممن هو دونه في السن .

والرفقة تفيد الولد بأن تغيير تصرفه فتعمل على تقويمه فيما إذا كان شاذاً أو أنانيا . فاذا وُجد طفل أناني ، يود احتكار أحسن الألعاب لنفسه ويجتهد ليأخذ الدور الاول في مختلف الألعاب ، عندما يجتمع عدد كبير من الأولاد ، يصبح ممقوتا من أصدقائه ، ويشعر أن للفكرة التي يأخذها أصدقاؤه عنه تأثيراً كبيراً عليه ، لذلك نراه يحاول تغيير هذا التصرف ، خشية ان يُشنأ من جماعته ويُعزل عنها .

ويتحقق في الوقت ذاته ، بواسطة أصدقائه ، ان الحياة أخذ وعطاء ، فلا يمكنه كسب عطف الآخرين إن لم يحترم حقوقهم ، ويضحي لأجلهم في بعض الاحيان ، كما وانه بدوره يستحيل عليه المحافظة على صداقتهم ان لم يعاملوه بالمثل .

لو فكرنا بالمنافع العديدة التي يجنيها الولد من رفاقه، لما تذمرنا من دعوته لهم لبيته . فلولا حاجته الملحة الى دعوتهم، لما أقدم على ذلك . ويؤكد الاخصائيون في تربية الاطفال ان الطفل يحتاج الى رفاق يلهو معهم ، لذلك فهم ينصحون الوالدين بارسال ولدهم الى دور الحضانة اذا كان وحيداً في العائلة ، رغم كل ما لديه من امكانيات للتعبير عن شعوره بواسطة الالعاب وغيرها ، فالعابه لا تحل محل رفاق له يتبادل وإياهم الاختبارات ، ولذلك فهو ليس بغنى عن هؤلاء الرفاق

إن دور اللعب تعمل بمثابة مدرسة لزيادة الاختبار عند الولد فهناك يتعرف على أصدقاء يقضي معهم ساعات سروره ويقدم معهم على مخاطرات توسع افق مداركه .

## الفصل الخامس

### الحسد عند الاولاد

كانت «افلين» فتاة صغيرة في السنة الرابعة والشهر الثالث من العمر، وكانت محبوبة من الجميع. عرفت بذكائها وبسيرتها الحسنة، الى ان وُلد للعائلة مولود جديد، اذ سرعان ما بدأ يظهر حسدها. وبالرغم من ان والديها حاولا تهيئة افكارها لمثل هذا الحدث، فانها لم تقوَ على كبت علامات الحسد فكانت تقول اثناء وجود والدتها في المستشفى ماذا يبرر رغبة والدتي في إيجاد أخ لي ما دمت انا في الوجود وعلى قيد الحياة؟ وعندما رجعت والدتها الى البيت أخذت إفلين تسائلها عن حبها لها ولوالدها، لكي تتأكد من ان عاطفتها تجاههما لم تتغير بوجود أخيها الصغير «سمير».

يقول الدكتور زيمان، الخبير في تربية الاطفال، في كتابه الحديث «الحسد عند الأولاد» انه من الطبيعي عند الأولاد ان يظهروا إشارات الحسد ويغاروا من اخوانهم، لأنهم لا يريدون ان يشاركهم احد حب

والديهم. وما نظرية الدكتور زيمان سوى قاعدة مطردة تستصوبها الابحاث في حقل تربية الاطفال .

يلاحظ الطفـل ان الجميع يعيرون اهتماماً خاصاً للمولود الجديد فيزيد حسده منه . فهذه والدته تهتم بطعامه ، وهذا أبوه يسرع اليه عندما يبكي وجميع الزوار يأتون خصيصاً ليروه ـ كل هذا يوهم الطفل بأن حب والديه وأهله قد انتقل انتقالا كليا الى الاخ الصغير .

* * *

أعجبت بنصيحة قرأتها في أحد كتب تربية الأطفال ، وهي ان الام بعد ان تلد في المستشفى وترجع الى البيت بعد الولادة يجب ان ترسل طفلها الاكبر خارج البيت كي لا يشاهد بنفسه انشغال والدته في ترتيب ملابس المولود الجديد او اهتمامها به . فاذا كان الاخصائيون يحذرون الوالدة من أهمية انشغالها بالطفل في وقت محرج كهذا ، فهل تظل حقيقة حسد الطفل من من المولود الجديد أمراً غامضاً ؟ !

يذهب الاخصائيون في تربية الاطفال الى ابعد من هذا بحيث ينصحون الوالدين الا يتكلموا بأنفسهم عن محاسن المولود الجديد، وإلا يلحوا على الطفل بأن يشاهده بل عليهم ان يشجعوه على ضرورة رؤية أخيه او اخته الصغيرة ويفسحوا له المجال ليعبّر هو بنفسه عما يظنه عنه او عنها .

يظهر الولد حسده من المولود الجديد ، كما اظهرته «افلين» من أخيها

«سمير». فكانت كلما اتى زائر ليشاهد أخاها، جلبت للزائر ألعابها لتلهيه عنه ولتحول انظاره عن اخيها تراها تستقبله استقبالا حسناً، واذا ما سمعتها تتحدث عنه كان حديثها ذماً لأخيها، وعرضاً عاماً لقباحته. ولشد ما تستشهد بعدم نظافته، وازعاجه للآخرين، والى ما هنالك من اختلاقات بريئة أخرى، وكل هذا لتنفس عن شعورها المكبوت تجاهه.

يعتقد الدكتور «زيمان»، وهو صادق في اعتقاده، ان الحسد يظهر في سوء التصرف، والتخلق، ومعاندة الاهل وكره المولود، وما كدر صفاء النفوس وسلبها هناءها مثل عاطفة البغض، على ما يقولون.

كانت «افلين» احياناً تلجأ الى العابها فتستعملها للتمثيل اظهاراً لما تكنه من شعور مكبوت في أعماق نفسها. فقد كانت تلعب مع رفيقاتها دور العائلة في البيت، فتمثل دور الام بلعبة، ودور الأب بلعبة اخرى، كما ان الاخوات والاخوة والطفل الصغير كانوا ممثلين بالعاب ايضاً. ومن تصرفاتها مع لعبتها تظهر بوضوح شعورها الحقيقي نحو اخيها «سمير» وما اكثر ما كانت تتصور ان اللعبة التي تمثل سمير تبكي دائماً وهذا ما يسبب لها انزعاجاً على اللعبة فتثور على اللعبة وتهددها تارة، وتصفعها طوراً آخر. تتخيل «افلين» ان اللعبة الممثلة والدتها تهتم باللعبة الممثلة «سمير» فتوعز اليها بعدم اعتنائها الشديد بها، لانها حسب زعمها، انانية تزعج الآخرين بصراخها. بهذه الاساليب، اي بواسطة اللعب والتمثيل انتهزت «افلين» الفرصة لتظهر سلطانها على الطفل الصغير. وما هذا التمثيل سوى وسيلة لتفصح عما تكنه من شعور داخلي وعما يساورها في اعماق نفسها من حسد لأخيها.

عبثاً يحاول الوالدون منع الحسد بين اولادهم ، لان الحسد الى حد ما امر طبيعي . وكثيراً ما يكون الوالدون الباعثين الى تأصيل هذه الخلة فيهم لما يظهرونه من قلق عظيم لاستئصالها . وليتهم يستفيقون الى انه لا مبرر لقلقهم الا في حالة خروج الحسد عن نطاقه الطبيعي . مثلا اذا اظهر الولد حسده من المولود الجديد عندما تسرع اليه امه كلما بكي ، فهذا لا يستوجب اهتمام الوالدين ، انما ضرره جسديا للطفل ، نتيجة لحسده تستجوب إعارته بعض الاهتمام وعدم التغاضي عنه .

يتعذر على الوالدين أحياناً مكافحة حسد ولدهم ، لانهم ليسوا المسؤولين عن ايجاد هذه الخلة وحدهم . فكثير من ملاحظات زائريهم واصدقائهم تعرقل مساعيهم في تحبيب الولد للمولود الجديد . فقولهم مثلا «ولت ايام دلالك الآن» او «اصبح الطفل الجديد موضوع اهتمام والديك» ليوقظ فيه روح الحسد . وكأني بهم يفتقرون الى احاديث ممتعة ، فيأخذون بالمقابلة بين جمال الولدين مظهرين حسنات وسيئات الفريقين ، فاين لذوقهم السليم يمنعهم عن مثل هذا الحديث ، بحضور الطفل الذي لم يفهم من فحواه الا انه يظهر تفوق المولود الجديد عليه . ان مساهمة الاصدقاء والزوار في مكافحة الحسد في الاولاد تتطلب مستوى رفيعاً من الثقافة ، وتفهما عميقاً لنفسية الطفل . وبما ان ليس جميع اصدقاء الوالدين ومعارفهم قد توصلوا الى تلك الدرجة من المستوى الرفيع جدير بالوالدين الا يشعروا إذا بأنهم قد اخفقوا في مكافحتهم حسد ولدهم .

لا ريب في ان تجنب وقوع المشكلة أسهل بكثير من مكافحتها . فيتحتم على الوالدين اذا تهيئه أفكار ولدهم للمولود الجديد قبل مجيئه للعالم ، تفاديا من وجوده فجأة ، كما وانه يفترض فيهم عدم انذراه بقدومه باكراً لأنه لا يقوى على

انتظاره طويلا ، فعندما تبدأ والدته باعداد لوازمه يمكنها ان تخبره عنـه ، وتطلب مساعدته في اعداد بعضها ليشعر بمساهمته الفعالة، وليكون على اتم استعداد لقبول فكرة مجيء المولود الجديد .

وفي وسع الام ان تقول له فيما بعد : هذا الطفـل مخلوق ضعيف ، لا يستطيع ان يعيش الا بعناية والديه ، فهل لك ان تسعفنا في تربيتـه ؟؟ فكثيراً ما تحول هذه الفكرة في الولد حسده الى الشعور بفضله عليه حيث لا يعتبره وقتئذ منافساً له . فما ان يسمعه يصرخ حتى يهرول مسرعاً الى امه طالبـاً منها ارضاعه . وعندما يراه وحيداً في فراشه وهو يتأمل أصابعه ، يشفق عليه فيقترب منه ويشرع بمناغاته وتدليله مقلداً في ذلك عمل والديه .

جميل هذا التحبب الصادق منه ، ولكن على الوالدين الاّ يستسلموا له كلياً ، ويشجعوه دائماً لانه ليس في كل مرة يقترب هذا الولد من الطفل يكون عن صدق نية. فكم من ام دهشت لدى رؤية ولدها يحاول وخز وجه الطفل بالابرة متعمداً عمله كأنه «لعبة صغيرة». او يحاول حمله بين ذراعيه اللتين لا تقويان على ذلك مبالغة في تكريمه . ان شعور الطفل يتأرجح مع الرياح، فكلمة تقدير من والديه تبعث فيه عاطفة صادقة نحو المولود الجديد، واقل مهيج للحسد يوقظ فيه هذه الروح الهدامة .

لذلك يترتب على الوالدين ألاّ يتخذوا فكرة موحدة عن ولدهم او يسيروا على نهج واحد ، اذ لا يمنعه اذا كان بالامس قد تصرف تصرفا حسنا ، ان يتغلب بين عشية وضحاها الى حاسد يكيد الشر لأخيه . وعلاوة على ان شعوره قابل للتغيير ، فتأثره بحركات والديه وتصرفاتهما ، تفوق تأثره باقوالهما ان الأم التي يشغلها طفلها الاصغر عن اخيه الاكبر ، لا تستطيع ان تسترضي هذا الاخير بمجرد الكلام اللطيف المعسول ، لأن الكلام وحده دون اهتمام حقيقي بالولد لا يجدي نفعا .

ان طريقة معالجة الأهل لهـذه المشكلة لشيء هام جداً . وهي تختلف باختلاف مزاج الولد ، ودرجة حسده ، وطريقة تربيته لذلك نرى ان الطريقة التي تنجح مع ولد ما ، قد لا يمكن ان تطبق على ولد آخر . ولكن هناك طرق عامة يجب على الوالدين الاطلاع عليها والالمام بها ، ليتخـذوها أداة لتفهم ولدهم ، وعلى ضوئها يحلون مشكلته الشخصية . هذه الطرق لمعالجة مشكلة الحسد هي ـ حسب اقتراح الدكتور زيمان والنظرية الحديثة في فن تربية الاطفال ـ كما يلي :

١) عدم معاقبة الولد المحسود ، لان هذا يضاعف حسده .

٢) عدم المقابلة بين تصرفاته وتصرفات اخيه او اخته الصغيرة .

٣) عدم اثارته او صدمه لشعوره غير المستحب .

٤) عدم توجيه حبهم فجأة للمولود الجديد ، وإهمالهم الولد الاكبر اهمالا تاما .

## الفصل السادس

# تنمية شخصية الطفل وروحه

للبالغين الكبار صلة وثيقة بتنمية شخصية الطفل وصقلها وتهذيب نفسيته وتوجيهها التوجيه الصحيح اذ انه بواسطة معاشرتهم المرضية للولد يظهرون له تأثير معاملته الحسنة على الآخرين . غير ان هذه الطريقة بطيئة للغاية ، لأن الولد لم يولد بطبيعته حسن المعشر ، ولكن لديه الامكانيات ليكون كذلك . ويشبه الولد في تصرفاته ، الانسان البدائي الذي لا يهتم الا لتلبية رغباته الشخصية. وبفضل العلم والتوجيه الاجتماعي يغير الطفل نظرته الانانية في الحياة . ومما يساعد على تغييرها تمتع الولد بعيش مطمئن في بيته، او لوجوده في جو عائلي مرح وغير منكمش ومنقبض . وكنتيجة لتغيير نظرته في الحياة يبدل الطفل انانيته بحبه لوالديه، غير ان هذا التغيير يتطلب وقتاً طويلا وعلى الوالدين ان يتقبلوه بصبر جميل لأنه أمر طبيعي .

ومما لا شك فيه ان الولد يكون متهيئاً لتحمل المسؤوليات اكثر من غيره إذا وجد في محيط مرح . ويود عادة تحمل مسؤوليات تتلائم مع رغائبه . وفي المستقبل، ومع الوقت يتعود تحمل مسؤوليات اكبر .

ولنترك النظريات جانباً ولنأخذ أمثلة من حياتنا الواقعية . يأتي زائر احياناً لاحدى العائلات ، وهو مغرم بطفلها ، غير ان الطفل يتهرب منه ويظهر أمامه حركات يظن لأول وهلة انها نتيجة لنقصان في تربيته، فما العمل ؟! ان أحسن طريقة لتغيير نظرة الطفل نحو الزائر هي بتغيير شعوره نحوه ، فيجب على والديه ان يحثاه على حب الزائر . ولموقفهما تجاهه تأثير عظيم ، لأنهما إذا استعملا اللباقة، وعاملاه بأساليب جيدة ، فالولد عندذاك يقلدهما في معاملته لهؤلاء الزائرين البالغين، فهو نوعاً ما المرآة التي تعكس تصرفاتهما.

* * *

من اصدق النظريات في فن تربية الاطفال، النظرية القائلة ان الطفل كالعجينة يتقلب ويتغير حسب إرادة مربيه . يأتي الطفل الى العالم وهو مزود بامكانيات تحتاج الى تنمية، والطريقة التي يفرضها المجتمع على هذه الامكانيات هي التي تقرر طابع الطفل ومسلكه . ومن اهم ما يقرر طابعه هو علاقة وتصرفات الوالدين بعضهم مع بعض ، وعلاقتهم وتصرفاتهم مع الآخرين ، وعلاقتهم وتصرفاتهم مع الطفل نفسه .

ان الوراثة عامل اساسي في تنمية شخصية الطفل. غير ان المحيط يفوقه خطورة في توجيه الطفل. وهاكم مثلا يثبت تأثير المحيط الكبير على تنمية

الشخصية . كان هنالك توأمان وضع كل منهما في بيئة مختلفة ، فما كان هذا الا ليعكس تأثيره عليهما. فطبع كل منهما بطابع خاص متأثراً ببيئته . وكان هذا التأثير شديداً حتى ظهر الفرق في المظهر الخارجي للتوأمين .

كثير من تقصيرات الولد ناتجة عن عدم احترام والديه له فمن المؤسف مثلا عدم وجود كرسي صغير في اغلب بيوتنا يرتاح عليه الطفل . وكأن طفلنا يعيش في عالم هو بالنسبة اليه عالم شبيه بعالم العمالقة . ولشد ما يعامل في اغلب الاحيان كأنه لا حقوق له . فكم يشعر باحترام والديه له عندما يجدهم يستشيرانه في رحلة يودان القيام بها مع بعض الاصدقاء . فبمعاملتهم إياه معاملة البالغين يخجل ان يتصرف تصرفاً اقل مما ينتظر منه .

من أهم ما يجب على الوالدين معرفته في باب تنمية شخصية الطفل وروحه ان لكل ولد طابعاً خاصاً من الشخصية يميزه عن سواه : وان هذا التفهم الصحيح لشخصية الطفل يساعدهم على انماء شخصية طفلهم وتقويتها . مثال ذلك يلاحظ الوالدون ان ولدهم تتجاذبه عاطفتان مختلفتان. عاطفة الحسد من أصدقائه، وعاطفة الاخلاص لهم فعلى الوالدين ان يبذلوا جهدهم لاخماد الاولى لأنها تحط من شخصيته الى الحضيض ، وان يعززوا الثانية ويعملوا على إظهارها وانطلاقها . ويجب الا يسهى عن بالهم ان كل تأثير عاطفي قوي ، كالخوف او الغضب ، وما شاكل ذلك يستطيع إضعاف مقدرته على الانسجام مع محيطه والتكيف لاوضاعه ، واذا ما استمر ذلك التأثير يجعله مختلفاً عن رفاقه . قد وهبتنا الوراثة نواة الانسجام مع المحيط ، وما ينمي هذه الملكة ويعززها فهو الاختبار .

هنالك عدة مناسبات وحالات تظهر في تصرفاته اليومية ، يستطيع الطفل فيها اظهار نوع شخصيته . مثلا بينما كانت ام تراقب لعب اولادها في ردهة كبيرة، رأت، عن كثب ، سمو شخصية سامي على شخصية أخيه رياض ، لانه حدث اثناء لعبهما ان خسر سامي ، فقبل خسارته هذه بصدر رحب، آملا ان يربح في مناسبة اخرى ، وقد تم هذا فعلا ، فانه في المرة الثانية ربح ، ولكن رياض الذي لم يستطع احتمال وقع الخسارة، اخذ في العويل والصراخ واضرب عن الطعام ، لانه فقد شهيته .

ومما لا ريب فيه ان الناحية العاطفية في الطفل ، تكوّن جزءاً هاماً من شخصيته لذلك يتوجب على المربين تجنب الامور التالية التي تسبب انحلالا في شخصية الطفل .

١ ـ عدم الشعور بالاطمئنان الناتج عن عدم الثقة بالنفس ، اذ يتطور هذا الى الخوف او الحسد .

٢ ـ التدخل في شؤون الولد الخاصة مما يسبب ردّ فعل عنده تظهر أعراضه باظهار شراسته وغضبه .

٣ ـ شعور الولد بمركب النقص ، الناتج عن عدم كفاءته للقيام بعمل ما ، ويرجع سبب هذا لحداثة سنه ، او لعدم اختباره الاختبار الكافي في ما يود عمله ، مما يجعله يشعر بهذا النقص والتقصير . اما ما يساعده على القضاء عليه ، فهو افساح المجال لاظهار مقدرته له وسلطته عن طريق اللعب والتمثيل . مثلا بينما هو يلهو مع رفاقه ، يتخيل نفسه البوليس ويمثل رفاقه الناس السائرين في الطريق ،

المؤتمرين بامره. وفي مكان آخر يمكن للولد ان يشعر بسلطته على الآخرين في ان يلعب مع رفاقه لعبة يمثل فيها نفسه الاب، ويجعل الباقين يمثلون دور اولاده. هذه اساليب ان لم تشف دائما فانها تخفف في اغلب الاحيان من وطأة الشعور بالنقص. وهذا الشعور بالتفوق عند الطفل يلعب دوراً هاما في القضاء على الشعور بالنقص لذلك يجدر بالوالدين ان يفسحوا المجال لولدهم ليختبر الامور بنفسه ويشعر بسلطته ويستفيق الى مقدرته وكفاءته.

واليكم بعض النصائح التي يحسن بالوالدين مراعاتها فتساعدهم على انماء شخصية اطفالهم.

١ ـ معرفة اولادهم حق المعرفة

٢ ـ معرفة ماذا ينتظر منهم في شتى مراحل حياتهم

٣ ـ الحرص على ان يكونوا دائما هادئين، صبورين ورصينين.

٤ ـ المساعدة على خلق محيط مثالي للاولاد يمتاز بالكثير من الاختبارات الشخصية التي تساعد على شحذ عزيمتهم.

٥ ـ فسح المجال للاولاد للتعبير عن شعورهم بواسطة احد الوان الفن كالتمثيل او الموسيقى، او الكتابة، او المناقشة، او القصص او الرسم او اللعب والى ما هنالك من الوان اخرى

٦ ـ البحث عن الاسباب عندماتظهر إحدى المشاكل او العقد النفسية في الاطفال ، وعلى ضوء تلك الابحاث لتعالج المشكلات .

٧ ـ تعليم الاولاد الاتكال على النفس يجعلهم مثلا يحلون مشاكلهم الشخصية بذاتهم ويرتبون لوازمهم ، ويرتدون ثيابهم مستغنين عن مساعدة والديهم ـ الا عند الحاجة القصوى .

٨ ـ احترام حقوقهم وافكارهم. فاذا ما اقترح الطفل مثلا دعوة بعض الأصحاب الى نزهة ما ، فليؤخذ اقتراحه بعين الاعتبار ولا يسخر منه ، حتى ولو جاء اقتراحه في بعض الاحيان مضحكا . بل يجدر بالوالدين ان يبينوا له مواضع اخطائه . اما فيما يختص بحقوق الطفل ، فيجب احترام تلك الحقوق ، فاذا سبب الطفل ازعاجاً بضجيجه ، من جراء لعبة مع رفاقه ، يجب الا يعارض، لأن الاعتراض في مثل هذه الحالة هو اعتداء على حقوقه .

# فهرس الكتاب


الفصل الاول — صفحة

الترويض والسلطة في تربية الأطفال . . . . . ٥

الفصل الثانى

العادة وكيفية اقتباسها . . . . . ١٤

الفصل الثالث

موقف الوالدين من صحة اولادهم . . . . . ٢٠

الفصل الرابع

اهمية الرفقة في حياة الطفل . . . . . ٢٧

الفصل الخامس

الحسد عند الأولاد . . . . . ٣٤

الفصل السادس

تنمية شخصية الطفل وروحه . . . . . ٤٠

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

## مصادر الكتاب

اعتمدت في كتابة هذه الفصول على الدراسات التي حصلت عليها من كلية البنات الاميركية ببيروت وعلى مطالعاتي الخاصة بعد الاستعانة ببعض الكراريس في اللغة الانكليزية

استجابة للحاجة الماسة الى كتب سهلة ومفيدة للاحداث اصدرت مكتبة المشعل سلسلة من هذه الكتب التي تناسب مدارك الاحداث وتلذ لمطالعتهم

●

فقد صدر عن مكتبة المشعل ببيروت الكتب التالية : سامي في الطيارة – سياحة المؤمن – صلاة سير – وهذه كلها مزينة برسوم ملونة ومطبوعة طبعاً انيقاً . وثمن كل منها ٥٠ غ.ل فقط. وهي خير هدية تقدمونها لاولادكم .

DATE DUE

JAPET LTD.
30 JUN 2009
Circulation Dept. 3

136.7:Sa11A:c.1
صعب ،عائدة شاكر
في سبيل تفهم الطفل
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01001609

AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

136.7
Sa11A
c.1